قالت العرب

المشهد

العدد 343 السنة الرابعة عشرة - الخميس 1 يناير 2026م- 12 رجب 1447هـ

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى
/ كحب عابر
/ وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى

متى يتحول حرمان الحرية الدينية إلى أداة نفوذ تهدد المجتمع كله

الدين كغطاء للسيطرة.. كيف يستغل للتحكم في السياسة والمجتمع والمال؟

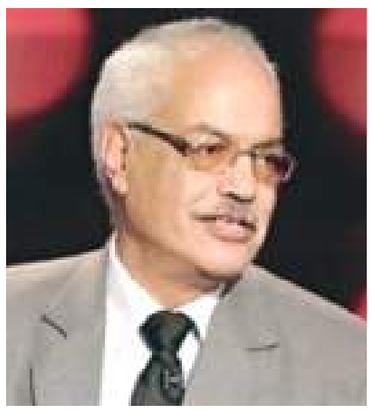

كمال زاخر: تحالف رجل الدين ورجل السياسة يحاصر العقل الجمعى ويرحل أزمات الناس إلى «جنة مؤجلة»

فى مصر اليوم لم يعد الدين مجرد مسألة شخصية بين الفرد وربه، بل أصبح فى كثير من الحالات أداة نفوذ وسيطرة على السياسة، الاقتصاد، التعليم، وحتى الحياة الاجتماعية اليومية.. المؤسسات الدينية وبعض الشخصيات النافذة تستخدم الدين لتبرير سياسات محددة.. ولحشد الدعم الشعبى، ولمنح نفسها شرعية اجتماعية وسياسية إضافية، بعيدا عن مساءلة واضحة.. تحليلات خبراء السياسة تؤكد أن هذا الاستغلال يحدث على مستويات متعددة، من المناهج التعليمية التى تشكل وعى الطلاب وفق رؤية محددة، إلى برامج تنموية تديرها مؤسسات دينية باسم خدمة المجتمع، بينما تحمل أهدافا سياسية أو اقتصادية غير معلنة.

الجانب الاقتصادى لهذه السيطرة لا يقل خطورة، فالمؤسسات الدينية تدير أموالا ضخمة، بعضها شفاف وبعضها غامض الوجهة، ما يتيح استخدامها لتعزيز النفوذ على الأفراد والمجتمع.. دراسة حديثة لمركز بحثى مستقل أشارت إلى أن نحو ١٥-٢٠٪ من هذه المؤسسات لديها تمويلات يصعب تتبعها، ما يجعلها أدوات فعالة للضغط الاجتماعى والسيطرة على القرارات اليومية للمجتمع، خصوصا فى المناطق الأقل وعيا بحقوقها المدنية... الخبيرة الاقتصادية الاجتماعية مها عبد الرحمن اكدت: التحكم فى الموارد المالية يتيح ممارسة نفوذ مباشر على الأفراد والجماعات ويعزز سيطرة المؤسسات على القرارات اليومية للمجتمع..

القوانين المصرية تضمن حرية العقيدة، لكن توجد فجوات تجعل استغلال الدين ممكنا.. الدستور ينص على حرية المعتقد، ويحمى قانون العقوبات قداسة الأديان، إلا أن ضعف الرقابة وغياب آليات حماية فعالة يجعل الأفراد والجماعات عرضة للاستغلال باسم الدين، خصوصا عند استخدام القانون لتقييد التعبير أو ممارسة ضغوط على الأقليات... المحامى الحقوقى أحمد السيد يقول: ضعف الرقابة يجعل الأفراد عرضة للاستغلال باسم الدين.. رغم وجود نصوص واضحة فى الدستور.

الاستغلال الدينى يولد أيضا ضغطا نفسيا واجتماعيا واضحا، حيث يشعر الأفراد بالخوف والذنب والعزلة، خصوصا بين الأقليات.. أدوات الضغط تشمل التمييز فى العمل، الحرمان من فرص التعليم، أو فرض مشاركة فى أنشطة دينية محددة.. الدكتورة منى حسن، أستاذة علم الاجتماع، أوضحت: الضغط الدينى ليس مجرد ضبط سلوكي، بل وسيلة لفرض سلطة مباشرة على القرارات الفردية والجماعية، ما يعمق الفجوات بين الأغلبية والأقليات.. استمرار هذا الاستغلال يضعف المجتمع المدنى ويحد من قدرة الأفراد على ممارسة حقوقهم بحرية، ويجعل الدين وسيلة للسيطرة أكثر من كونه أداة للإيمان والتوجيه الروحي...

تاريخ الظاهرة فى مصر يظهر أن استغلال الدين للسلطة ليس جديدا، لكنه ازدادت تعقيدا مع تداخل السياسة والاقتصاد بالمؤسسات الدينية، ليصبح الدين أداة مركبة للتحكم بالمجتمع.. المحامى الحقوقى أحمد السيد يؤكد:"الاستغلال يحدث غالبا عبر تهديد الوظائف، فرض برامج دينية، أو استخدام قوانين ازدراء الأديان لتقييد التعبير.. ما يجعل الأفراد عاجزين عن حماية أنفسهم..

ويعلق المفكر القبطى ومؤسس التيار العلمانى داخل الكنيسة، كمال زاخر، قائلا إن الاشكالية لا تتعلق برجال الدين بوصفهم أفرادا، بقدر ما ترتبط بتحالف واضح بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، خاصة فى دول العالم الثالث، حيث تتقاطع المصالح بين الطرفين بشكل مباشر.. وأوضح أن هذا التحالف ليس حكرا على العالم الثالث فقط، لكنه يكون أكثر وضوحا وعمقا فى تأثيره داخل هذه المجتمعات، بسبب الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وتراجع الوعى والثقافة...

وأشار زاخر إلى أن استخدام الدين فى هذه السياقات يعد الوسيلة الأسهل للسيطرة على الشارع، لأن الدين بطبيعته يحمل وعودا أخروية، ترحل من خلالها أزمات الحاضر إلى ما بعد الحياة، فيطلب من المواطن الصبر على الفقر والظلم مقابل الجنة أو الفردوس.. وأضاف أن رجال السياسة ليسوا بعيدين عن هذا التوظيف، بل يدعمونه باعتباره أداة فعالة لإحكام السيطرة، فى حين يرى بعض رجال الدين أن هذا التحالف يخدم انتشار رسالتهم، وإن اختلفت الدوافع، إلا أن الاتجاه واحد، وهو تقابل المصالح بين المؤسستين الدينية والسياسية...

وفى رده على سؤال حول التهديد أو التقييد باسم الدين، أوضح زاخر أنه لا يمكن دائما الإشارة إلى وقائع فردية بعينها، لكن يمكن الحديث عن نمط عام ممتد تاريخيا فى المنطقة، يقوم على تبنى خطاب دينى يكفر أو يجرم الخروج على الحاكم، وهو خطاب تكرر عبر التاريخ المصرى والعربي، وتحول إلى جزء من الوعى الجمعي. ولفت إلى أن هذا التحالف بين رجل الدين ورجل السياسة يشكل كماشة تضغط على العقل الجمعي، وتحجب عنه حقه فى الاختلاف، وهو ما يجعل المطالبة بالدولة المدنية أو دولة المواطنة مطلبا قائما حتى اليوم...

وحول دور الدين فى تشكيل الولاء السياسى والاجتماعي، قال زاخر إن المسألة ترتبط بدرجة الوعى والثقافة السائدة فى المجتمع، فكلما تعمق الوعي، تراجع الدور المنفرد للدين فى توجيه المجتمع، باعتباره أحد مكونات الوعى وليس المكون الوحيد له.. وأكد أن الأزمة الحقيقية تبدأ حين ينفرد الدين بتشكيل الوعي، ويتم إقصاء عناصر الثقافة والعلم والإبداع، مشيرا إلى أن توظيف الدين سياسيا يتناسب طرديا مع درجة الاستبداد، فكلما زاد القمع، زادت الحاجة لاستخدام الدين كأداة للضبط والسيطرة..

وعن أساليب الضغط النفسى والاجتماعى باسم الدين، أوضح زاخر أن الخطاب الدينى هو الأداة الأساسية، فالدين يصل إلى الناس عبر هذا الخطاب، وكلما خضع الخطاب الدينى للرؤية السياسية، أصبح أداة لتحقيق أهداف السلطة، سواء كانت إيجابية أو سلبية.. وشدد على أن القضية ليست أبيض أو أسود، بل تتعلق بسلامة الخطاب ذاته، مؤكدا أن أى مجتمع يسعى للنهوض لا بد أن يضع التعليم والثقافة والإبداع فى مقدمة أولوياته، بعيدا عن التوجيه الأيديولوجي...

وفى ما يخص استغلال الدين فى التعليم والبرامج المجتمعية، أشار زاخر إلى أن المشكلة تبدأ من النص الدستورى الذى يمنح الدولة دينا رسميا، معتبرا أن هذا الأمر غير موجود فى المجتمعات المتقدمة، لأن الدولة كيان اعتبارى يضم مواطنين متنوعين فى الأديان والأفكار.. وأضاف أن منح المؤسسات الدينية صلاحيات فى التعليم العام، أو امتلاكها لمناهج موازية، يفتح الباب لتوجيه المجتمع دينياً، ويؤثر فى النهاية على القرار السياسي، لافتا إلى أن الفتن الطائفية غالبا ما تستند إلى خطاب دينى متطرف يقنع أتباعه بأحقيتهم المطلقة فى الوجود..

وأكد زاخر أن استغلال الدين كأداة للسيطرة يمثل تهديدا مباشرا لحرية المعتقد، ويظهر عمليا فى إقصاء المختلفين من مواقع التأثير والصفوف الأولى، استنادا إلى تفسيرات فقهية أو دينية، مشيرا إلى أن الخسارة الحقيقية لا تقع على المواطن وحده، بل على الوطن نفسه، الذى يستمر فى الدوران داخل ثلاثية الفقر والمرض والجهل رغم مرور عقود طويلة...

وحول ما تخشاه المؤسسات الدينية من كشف هذا الاستغلال، رأى زاخر أن عملية الكشف ذاتها معطلة، لأن الخطاب الدينى والمجتمعى لا يتوقف عن تأكيد ضرورة المرجعيات الدينية، بينما تظل الدعوات المدنية محاصرة بأفق ضيق، ما يخلق دائرة مفرغة يصعب كسرها.. واعتبر أن الرهان الوحيد المتاح حاليا هو تصاعد الوعى لدى الأجيال الجديدة، فى ظل العولمة والعالم الافتراضي، الذى بات مساحة أقل خضوعا للرقابة والسيطرة...

الفصل بين الدين والسلطة أصبح ضرورة ملحة لحماية حرية المعتقد وسلامة المجتمع.. الدين يجب أن يبقى وسيلة للإيمان والتوجيه الروحي، لا أداة للضغط أو السيطرة.. حماية المجتمع من استغلال الدين مسؤولية مشتركة.. قانونية و اجتماعية ومدنية، والا فان استمرار هذا الاستغلال يهدد ليس فقط حرية الأفراد.. بل نسيج المجتمع نفسه..

تقرير – مادونا شوقي

الأنبا باخوم: صمت الله كلمة.. والإيمان لا يُقاس بالمشاعر

اللادينية صرخة بحث لا كفرًا.. والتعليم الديني مطالب بمواجهة الإلحاد بالعقل

في زمن تتكاثر فيه الأسئلة الوجودية، ويعيش فيه الإنسان المعاصر حالة قلق روحي واضطراب الإنساني، تبرز الحاجة إلى خطاب ديني هادىء لا يهرب من الأسئلة ولا يختبىء خلف إجابات جاهزة. في هذا السياق، يفتح الأنبا باخوم، المتحدث الرسمي والنائب البطريركي للكنيسة الكاثوليكية، مساحة صريحة للحوار حول قضايا تمس جوهر الإيمان وحياة الناس اليومية، من صمت الله وجفاف الصلاة، إلى ابتعاد بعض الشباب عن الكنيسة، وصعود أسئلة اللادينية، ودور التعليم الديني في مواجهة الإلحاد، وصولا إلى مكانة المرأة، والعنف الأسري، وحدود الزواج والطلاق داخل الكنيسة.

حوار يتسم بالهدوء والوضوح، يوازن بين الإيمان والواقع، ويقدّم رؤية كنسية تسعى إلى الإصغاء قبل التعليم، والاقتراب قبل الإدانة، في زمن باتت فيه الأسئلة أعلى صوتًا من الإجابات.. وهذا نص الحوار:

● **لماذا نشعر أحيانًا أن الله صامت؟ وهل الصمت رسالة أم اختبار؟**

– أحيانًا يبدو لنا أن الله صامت، بينما الحقيقة أن صمته ليس غيابًا، بل طريقة مختلفة للكلام. الله لا يعمل وفق استعجالنا نحن، بل وفق حكمته وتوقيته. الصمت قد يكون مساحة لنتطهر من الضجيج الداخلي، مساحة ننضج فيها ونتعلم الثقة. الله كثيرًا ما يربّي القلب بالصمت أكثر مما يربّيه بالكلمات. الإيمان الكاثوليكي يعلّمنا أن الله حاضر حتى حين لا نشعر، وأن الصمت يمكن أن يكون رسالة، دعوة لأن نبحث عنه أكثر ونثبت في الصلاة. انفتاح القلب في لحظات الصمت قد يكون بابًا لوحي عميق.

● **هل يمكن أن يعيش الإنسان حياة روحية حقيقية وهو لا يشعر بشيء في الصلاة؟**

– نعم، لأن جوهر الإيمان ليس المشاعر، وإلا تحولت الصلاة إلى بحث عن إحساس لا عن لقاء. الكنيسة الكاثوليكية تربّينا على الثبات، فالصلاة ليست محاولة لاستجلاب مشاعر روحية، بل فعل حب. أنت تصلي لأنك تحب الله. القديسون الكبار مرّوا بسنوات من الجفاف الروحي، ومع ذلك استمروا. الحياة الروحية الحقيقية تُقاس بالأعمال والإخلاص، وبالوفاء لا بالانفعال.

● **هل الكنيسة أحيانًا بعيدة عن هموم الناس اليومية؟ وماذا يمكن أن يتغير؟**

– الكنيسة جسد حي، هي شعب الله. الكنيسة الكاثوليكية تحمل في قلبها مسؤولية الضعيف، والتعليم البابوي يؤكد دائمًا على "كنيسة تخرج إلى الأطراف". الكنيسة لا تكتفي بأن تعلّم، بل تسمع وتشارك. المطلوب أن تكون قريبة من الواقع، من الألم والفرح معًا.

● **لماذا يوجد شباب كثيرون في الكنيسة جسديًا لكن ليس بقلوبهم؟**

– لا نستطيع أن نعمم، فهناك العديد من الشباب، مثل كل الفئات العمرية، في خدمة الكنيسة ويقومون بأعمال جميلة. لكن البعض منشغل بواقع وصعوبات حياتية أو انشغالات أخرى. الكنيسة لا تدين، بل تحاول قدر الإمكان أن تقابل الجميع وتقدّم ما تستطيع.

● **كيف تتعامل الكنيسة مع الجيل الذي يميل إلى اللادينية؟**

– اللادينية ليست كفرًا دائمًا، بل أحيانًا صرخة بحث. كثيرون لا يرفضون الله، بل يرفضون صورًا مشوهة عنه. نقترب منهم بالصداقة لا بالمواجهة، ونسمع قبل أن نجيب. الإيمان لم يُفرض يومًا بالقوة بل بالحب. وإذا استطاعت الكنيسة أن تُظهر وجه المسيح الرحيم لا القاسي، ستفتح أبواب الرجوع. اللادينية لا تُعالج بالإدانة بل بالشهادة.

● هل التعليم الديني قادر على مواجهة تحديات الشباب؟

– بالتأكيد، لكننا نحتاج أيضًا إلى تعليم يمس الواقع، يواجه الإلحاد العلمي بالمنطق، ويجيب عن أسئلة الجنس والحرية والهوية دون خوف أو هروب. الكنيسة الكاثوليكية لديها تراث لاهوتي عميق، لكن المطلوب تقديمه بلغة يفهمها الجيل الجديد. الشباب لا يحتاج فقط إلى معلومة، بل إلى معنى، وحين يصبح التعليم قادرًا على خلق معنى، يصير أكثر قوة وتأثيرًا.

● هل توجد قوانين أو تقاليد في الزواج الكاثوليكي قد تظلم المرأة؟

– جوهر الزواج الكاثوليكي قائم على مساواة الرجل والمرأة في الكرامة والحقوق. التقاليد لا تظلم المرأة. الكنيسة بحاجة دائمة إلى مراجعة عادات اجتماعية لا عقائدية، فالإيمان لا يناقض كرامة المرأة بل يرفعها. الزواج سرّ مقدس، وليس ملكية ذكورية. الرجل والمرأة يسيران معًا، لا أحد أفضل من الآخر، وهذا ما يجب أن يظهر عمليًا.

● هل تتعامل الكنيسة بفعالية مع العنف الأسري؟

– الوعي يتزايد، لكننا نحتاج شجاعة أكبر. العنف الأسري جريمة وليس "شأنًا داخليًا". نحاول بشتى الطرق تقديم دعم نفسي وقانوني وروحي للضحايا، فالكنيسة مدعوة لأن تكون ملجأ للمنسحقين.

● متى يكون الطلاق مشروعًا؟

– لا طلاق في الكنيسة الكاثوليكية. ما يوجد هو ما نسميه في القانون "إعلان بطلان الزواج"، وذلك لوجود سبب مانع للزواج أو لغياب الرضا الحر وقت إتمام السر والطقس. الصعوبات اللاحقة لا تسبّب إعلان البطلان، إلا إذا كانت ناتجة عن أمر خفيّ كان موجودًا قبل الزواج.

● هل تخاف الكنيسة من تمكين المرأة في المناصب القيادية؟

– الكنيسة الكاثوليكية عبر تاريخها شهدت نساء قديسات علّمن، وأدرن أديرة، وقدن إصلاحات كبرى. المشكلة ليست في الإيمان، بل في الثقافة المحيطة. نحن نحتاج إلى ثقافة تشهد بكرامة المرأة عمليًا، وتمنحها مساحة قيادية حقيقية في التعليم والإدارة. تمكين المرأة ليس تهديدًا للكنيسة، بل غنى لها.

● ما تقييمك لدور المرأة داخل الكنيسة؟

– المرأة هي نبض الخدمة الاجتماعية، وحاملة الرحمة، والمعلمة الأولى في البيت والرعية. وجودها ليس تكميليًا، بل جوهريًا. وكلما ارتفع صوت المرأة، اتسع وجه الكنيسة ليشبه مريم: الأم، والمعلمة، والخادمة.

● هل تُتخذ قرارات أحيانًا حفاظًا على الصورة بدل العدالة؟

– الإنجيل يدعونا إلى الشفافية. العدالة ليست عكس الرحمة، بل طريقتها الصحيحة. الإصلاح يبدأ بالصدق، والله لا يبارك ما يُغطّى بل ما يُشفى.

● هل توجد طبقية داخل الكنيسة؟

– الطبقية عكس مفهوم الكنيسة، لأن الكنيسة هي شعب الله، جماعة مسيحية لا فرق فيها بين غني وفقير.

● كيف ترى التعايش بين الأديان في مصر؟

– المجتمع المصري غني بالتنوع، والكنيسة الكاثوليكية تلعب دورًا مهمًا في الحوار والتعاون. التعايش ليس مجاملة، بل مشاركة إنسانية. نحن نؤمن أن الله يعمل في قلب كل إنسان، وأن الاختلاف ليس تهديدًا بل جسرًا للسلام. الإيمان الذي لا يلد سلامًا ليس إيمانًا كاملًا.

● هل تحتاج الكنيسة إلى تغيير أسلوب تواصلها؟

– العالم اليوم سريع وصريح. الكنيسة الكاثوليكية مدعوة، كعادتها، إلى التواصل. الرسالة نفسها أبدية، لكن الزمن تغيّر، والكنيسة تسعى إلى مواكبة هذا التغيير.

9 أنواع من الذكاء .. تعرف عليها

يقول المتنبي: "لكل داء دواء يستطب به، إلا الحماقة أعيت من يداويها". يُقال أن هناك تسعة أنواع من الذكاء، منها الذكاء اللغوي، والذكاء العاطفي، والذكاء الموسيقي، والحسي، والاجتماعي. لعل أشهرها الذكاء الحسابى أو المنطقي.

ولكن الشخص الذى يصنف من الأذكياء بين الناس فى مساعى الحياة اليومية لديه مزيج من المنطق، والذكاء العاطفي، والاجتماعى وكذلك الذكاء اللغوى أحيانًا. وكما أنه من الممكن تعلم القراءة والمشى فإن الذكاء مختلف أنواع الذكاء قابلة للتطوير، وكذلك الحماقة. فيما يلى ثلاثة أشكال من الحماقة قد يقع فيها أى شخص، ولكن الوعى بها يقلل من فرص حدوثها.

أولا: التحدث بحرية فى الأمور التى لست على دراية عميقة بها

ولا لديك خبرة ولا تجربة عنها، خاصةً أمام من هم على وعى حقيقى بها

يقول رجل الأعمال والمؤثر الصينى الأمريكى دان لوك:"لدى الفقراء الكثير من الآراء، كما أنهم خبراء فى كل شيء: السياسة، الاقتصاد، والفن. لأن تلك هى الطريقة الوحيدة التى يشعرون بها بالأهمية." عندما تتحدث فى ما لا تفقه فيه، يبدو كلامك سطحيًا وتتسم آراءك بالتضارب وكذلك تفتقر إلى المنطق السليم. حينها لا يسع من حولك إلا أن يشعروا أنك أحمق. ويمكن مضاعفة هذا التأثير بالمجادلة معهم لإثبات أن معلوماتك الخاطئة صحيحة.

يعلم الأذكياء أنهم لا يفقهون فى كل الأمور، ومن حكمة المرء معرفة نقاط ضعفه وقوته، لذا يشعرون بالارتياح مع التزام الصمت فيما لا يفقهون فيه، وعندما يقررون التحدث فهم يفعلون ذلك بذكاء عن طريق طرح الأسئلة التى من شأن إجاباتها أن تعلمهم شيء ما. ولكنهم لا يدعون المعرفة ولا يجادلون بأى حال من الأحوال.

ثانيًا: التحدث وتصرف دون التفكير فى من حولك

يتسم تصرف الحمقى بالاندفاعية، يفعلون ويقولون ما تمليه عليهم أنفسهم دون التوقف للحظة والتفكير فيما حولهم من أشخاص وظروف. بينما يخرج الأذكياء من حدود أنفسهم ويفكرون فى الشخص الآخر: بمَ يشعر، كيف يفكر، كيف سيكون رد فعله أو شعوره إن فعلت كذا أو قلت كذا، كيف يتسنى لى قول ما أريد دون أن أستثير ألم ما أو شعور بالتهديد لدى الشخص الآخر؟.

فإن كنت تريد أن تكون أحمقًا لا تدع تفكيرك يتجاوز ذاتك، (أريد) كذا، يجب أن يفعلوا (لي) كذا، يجب أن (يعطوني) الاحترام والتقدير كما ينبغي، يجب أن يستمعوا لي. لا تفكر فيما يمر به الشخص الآخر، ولا فى أثر كلماتك عليه، لا تفكر فيما إذا كان لديه الطاقة لتحمل تلك المحادثة. تصرف بناءً على شعورك ورغباتك ولَم الآخرين على أى شيء لا يعجبك.

ثالثًا: التفكر بلا واقعية

للتفكير الواقعى ثلاثة محاور، إذا أردت أن تكون أحمقًا تجاهل أحدها أو تجاهلها جميعًا.

المحور الأول هو الواقع المنظور: أى ما هو (واقع) فى الوقت الحالي.

من الأمور المفضلة لدى الحمقى أن يروا (الواقع الحالي) بعدسة (الواقع المثالي) من وجهة نظرهم، ثم يغضبوا ويُحبطوا ويأسوا لأن الواقع الحالى لا يطابق الواقع الذى يأملون. ويقولوا أشياءً من نوعية: الحياة ليست عادلة، الفاسدون يملأون الكون. وعندما يحاولون تغيير الواقع يفعلون ذلك بطرق تعود عليهم بالخسارة والمزيد من الواقع اللامرغوب لأن نقطة البداية كانت خاطئة.

بينما ينظر الأذكياء إلى الواقع المنظور بعين الفضول والحياد، حتى فى الأمور التى تبدو لا أخلاقية. والسبب فى ذلك أنهم يدرون أنهم ليسوا (الإله)، هم يدركون أن الله قد خلق تلك الحياة وهذا العالم، وأنه سبحانه وتعالى مطلق الحكمة ومطلق القدرة، وبالتالى لديهم ثقة أن حتى فى ما يبدو لا أخلاقى هناك حكمة إلهية لا تخطئ، هم يعلمون أنهم لا يعلمون ولذلك هم مرتاحو البال، يدركون أنه من المنظور الإلهى الواسع، مطلق العلم والحكمة، ما هو كائن هو ما يجب أن يكون. وأن الشر النسبى يعمل لخدمة الخير المطلق.

وهم أيضًا يعلمون أنها سنة كونية أن "أكثرهم لا يؤمنون"، و"أكثرهم لا يشكرون"، و"أكثرهم الفاسقون"، و"أكثرهم لا يعلمون" ، و"أكثرهم يجهلون" ، و"إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن"، "وما يتبع أكثرهم إلا ظنًا إن الظن لا يُغنى عن الحق شيئًا". هكذا قال الله فى كتابه الكريم، فالحكيم يعلم أنه لا يمكنه أن يصارع مع تلك الحقيقة أو يحاول تغييرها، ولكنه يعمل معها. ويتصرف مع أخذها فى الاعتبار.

ومن هذا المنطلق ينظر الأذكياء إلى الواقع المنظور كما تنظر إلى أحجية عليك حلها، بلا أحكام، بلا سخط، ولكن بفضول: ولذلك يجدون طريقهم فى الحياة بأخلاقية عالية وبسلام "يهدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام".

والمحور الثانى هو الواقع اللامنظور:

من أشهر أشكال الحماقة الإنسانية واسعة النطاق، هى الظن بأنك قد أحطت بعلم الأمور. والأكثر حماقة هى أن تظن أن ما تراه هو (الحقيقة)، الغالبية الساحقة من البشر لا يستطيعون التفرقة بين (وجهة نظرهم) و(الحقيقة)، هم بلا وعى يظنون أنهم يرون الحقيقة كاملةً، وهذا ما يجعل الواقع سجنًا لهم عن استحقاق، لأن الظن بأنك محيط بعلم الأمور هو من الكبر.

إذن الواقع المنظور لا يعدو كونه ١٪ من الواقع اللامنظور، وهو أولًا الحقائق الموجودة فى الواقع المنظور التى لا تراها، وثانيًا: الاحتمالات جميعها التى هى فى علم الإله. من الحكمة أن تعرف فقط أنك لا تعرف كل ذلك.

مثال: قال لى أحدهم: "أتمنى شراء بيت جديد"، فقلت: "هذا هدف جميل، رزقك الله ما تريد فى القريب"، قال: "كيف؟ فراتبى قليل" قلت: "ولكن مع سعيك فى الرزق ستُجزى سعيك حتمًا"، قال: "ولكن السماسرة غشاشون ويرفعون الأسعار، لا تجد منزلًا هذه الأيام بأقل من كذا وكذا". هذا الشخص قد سجن نفسه فى الواقع المنظور: الراتب، طبيعة الأسعار، غش السماسرة من وجهة نظره. وتجاهل الواقع اللامنظور: "لئن شكرتم لأزيدنكم"، "فإنى قريب أجيب دعوة الداع"، "ويمددكم بأموال"، "إن هذا لرزقنا ما لا من نفاد". وكذلك تجاهل حقيقة أنه لا يعلم ما ينتظره من فرص، ولا ماذا يمكن أن يحدث إذا بذل كل ما يستطيع بإيمان.

الواقع اللامنظور قد يكون (إيجابيًا) أو (سلبيًا). فإذا أنعم الله عليك بشيء ما وكنت تظن أنه يمكنك أن تجعد النعمة وتسيء استخدامها بلا عواقب لأنه لا توجد تهديدات فى الواقع المنظور فأنت أحمق، تجاهل الواقع اللامنظور سيكون سبب هلاكك. وإن كنت تسعى لمكانة أفضل فقط بأسباب الواقع المنظور فتغش وتأكل حقوق الناس لأنه يمكنك الإفلات فإن الله يراك، وبحساب الواقع اللامنظور سيعود ذلك عليك بالعواقب المؤلمة. وإذا كنت فى وضع لا تريده ورأيت فى الواقع المنظور أنه لا أمل فتجاهلت كل أسباب الواقع غير المنظور من السعى والدعاء وتحديد النوايا وتنقية قلبك فانت تستحق المزيد مما لا تريد.

المحور الثالث: آليات عمل الواقع للواقع المنظور آليات عمل: كما أنه لا يمكنك التحرك من مكان لآخر دون أن تقوم بجسدك وتسير أو تركب سيارة. لا يمكنك فعل نفس الأمور كل مرة وتوقع نتائج مختلفة. الواقع يخضع لقانون السبب والنتيجة. فمن آليات عمل الواقع المنظور هو السعى المادي: القيام بالأعمال، مقابلة الأشخاص، السعي. والأهم من السعى هو النظر لنتائج السعى بحياد، لاكتشاف الأخطاء وتعديلها والسعى بطريقة أفضل حتى تحصيل النتائج المطلوبة.

عقلية ال(اليانصيب) من سمات الحمقى الأكثر شيوعًا، وهى تنص على الآتي: سأقوم بنفس الأشياء ولكن فى يوم ما سيتغير الواقع. بينما الأذكياء يتعلمون باستمرار عن آليات عمل الواقع ويطبقونها.

للواقع اللامنظور كذلك آليات عمل، وله سعي: كالإيمان، والنوايا الواضحة المحددة (وإنما لكل امرئ ما نوى)، والثقة واليقين حتى بغياب الأدلة فى الواقع المنظور، والتسليم لله، والأعمال القلبية. يتجاهل الغالبية الساحقة من الناس الواقع اللامنظور تمامًا، وكأنه غير موجود أو غير حقيقي. وحتى الذين يقولون أنهم (مؤمنين) يتعاملون مع الإيمان كأنه (خيال) وليس واقعا.

مثال: قلت لأحد أصدقائى (أنوى فعل كذا)، جاء ردها سريعًا متراصًا: هل جُننت؟ فالاقتصاد والعملة و السياسات و و و لا تسمحَ بما تريدين. بينما فى حقيقة الأمر هناك الكثيرون ممن يعيشون فى الدولة نفسها وقد بدأوا بالإمكانيات نفسها حققوا أضعاف ما قلت أنى أنويه. ولكنهم لم يحدوا أنفسهم بمعطيات الواقع (المنظور) بالنسبة إليهم. هم يعلمون أن الواقع الذى لا يرونه واقع أيضًا.

وبالتالى من الحكمة أخذ معطيات وآليات عمل الواقع المنظور والواقع اللامنظور فى الحسبان. وإن كنت تريد أن تكون أحمقًا أنصحك بأن تتجاهل الواقع المنظور بأن تكون واهمًا هوائيًا، شديد التشاؤم والبؤس أو شديد التفاؤل بلا أى خطوات مادية على أرض الواقع. أو تجاهل الواقع اللامنظور بأن تكون سجين ما تراه من معطيات، أو حتى سجين (رؤيتك المثالية) للواقع والسخط ورفض عيش الحياة بسعادة لأن الواقع المنظور لا يروقك.

إذن من الحكمة أن تلتزم الصمت فيما لا تعلمه، وكذلك أن تتحدث بتواضع حتى فيما تعلم فهناك دائمًا علم أوسع، وأن توسع أفق تفكيرك والانتباه لمن حولك من أشخاص وظروف، وأن تدرك أن الواقع مادى وغيبي، أن تفكر من المنظورين وأن تتعلم عن أساليب عمل الواقع المادى والغيبي.

فدوى مجدي